الموقر
سوامي
برهمافيهاري

مفكر وكاتب ورجل دين في مؤسسة سوامينارايان سانستا ، ولد ونشأ في المملكة المتحدة ، وحين كان طالبا أتيحت له فرص عديدة للالتحاق ببعض أفضل الجامعات على مستوى العالم لكنه مضى على خطى معلمه براموخ سوامي مهاراج ، وأصبح قسا في مؤسسة سوامينارايان سانستا الهندوسية عام ١٩٨١ ، ومنذ ذلك الحين كرس حياته لخدمة الإله والمجتمع.

الموقر سوامي برهمافيهاري

اخترت أن أبدأ بترنيمة السلام لأن جميع المتحدثين من ذوي الفكر المستنير والمفكرين الكبار الذين سبقوني تحدثوا باستمرار عن الحب والسلام والتسامح. أكد معالي الشيخ نهيان مبارك آل نهيان أن ما تريد القيام به على هذه الأرض - سواء كان يتعلق بالبيئة أم السلام أم التقدم - لا يمكن القيام به دون التسامح والأخوة الإنسانية.

لذا أستهل حديثي بأن أغتنم هذه الفرصة لأشكر قادة دولة الإمارات العربية المتحدة على تنظيم هذا المؤتمر العالمي التاريخي، وهو الأول من نوعه الذي يرسل إشارة إلى العالم.

كما نشكر مجلس حكماء المسلمين وجميع المشاركين الذين أتوا من أماكن بعيدة للمشاركة بشغف حاملين في قلوبهم الحب. وأشعر أيضا أن هذا المؤتمر هو حاجة الساعة. إذا كانت هناك حاجة أكبر من النمو، وإذا كانت هناك حاجة أكبر من الاستقرار الاقتصادي، وإذا كانت هناك حاجة أكبر للصحة والثروة والتنمية، وربما إذا كانت هناك حاجة أكبر لمواجهة تحديات تغير المناخ.

فإنني أعتقد أنكم جميعا توافقون على أن الأخوة الإنسانية هي ما نحتاج إليه أكثر. وكما قال رئيس الهند السابق الراحل، والذي حظي بأكبر قدر من الحب كرئيس للبلاد، الدكتور أ. ب. عبد الكلام: "لا فائدة من التقدم والازدهار بحدود ما لم نتعلم، كبشر، التحدث

بسعادة والسير معا وما لم نتعلم، كبشر، أن نشارك ونعتني ببعضنا البعض بسعادة. ماذا لو قمنا بترقية مدننا وبلداننا وتطويرها؟ ماذا لو عملنا على تطوير عالمنا؟ ولكن إذا قللنا من مستوى حياة البشر والعلاقات الإنسانية، فكل شيء بلا قيمة".

يعطينا هذا المؤتمر خيارا حاسما. أعتقد أننا جميعا أذكياء وأصحاب حكمة بما فيه الكفاية لنعرف أن أمامنا خيار. والسؤال الحرج هو: أنختار أن نتحد ونزدهر معا، أم نختار أن نتفرق ونهلك إلى الأبد؟ الخيار واضح. وأعتقد أن جميع القادة وجميع المتحدثين الملهمين أكدوا هذا بطريقة أو بأخرى. لكن عندما نفكر في الأمر عندما نجلس في المؤتمر، أود فقط أن ألفت انتباهكم إلى حقيقتين بسيطتين. إذا شعرنا في هذا المؤتمر بأننا هنا للبحث عن حلول، فإن لدي بعض النصائح. قبل أن نبحث عن حلول، دعونا نتعلم أن نوجه الأسئلة الصحيحة. إذا طرحنا الأسئلة الصحيحة، ستجد الحلول طريقها إلينا.

أخبرني أحدهم أنه لم يشهد أي وقت من التاريخ عقد عدد أكبر من مؤتمرات السلام، وقمم السلام وندوات السلام والتجمعات السلمية، وكتب السلام ومحادثات السلام. فكيف إذا لا يزال قطاع التسلح واحداً من أعلى الصناعات كسباً؟ هناك سؤال يزعجني باستمرار، وأريد منكم أن تحاولوا الإجابة عليه في هذه القمة. والسؤال هو: في هذا العصر والذي تتنوع فيه خيارات الترفيه بشكل كبير – فهناك المنتجعات، والمتنزهات، والحدائق المائية، والفنادق، ودور السينما، وتقنيات الواقع الافتراضي، والألعاب الحديثة، وأنظمة الفيديو - لماذا تحتل مضادات الاكتئاب المرتبة الأولى لأكثر الأدوية مبيعاً؟ لماذا؟

نحن بحاجة إلى طرح الأسئلة الصحيحة. لم يشهد التاريخ في أي وقت كماً أكبر من الكتب والمحاضرات والندوات ذات التفكير الإيجابي، والناس مثلنا يجوبون الأرض يتحدثون عن الإيجابية في العالم، بما في ذلك الزعماء الدينيون. فلماذا تخبرنا الأبحاث أن 80 في المئة من أفكارنا هي دائما سلبية؟ نحن بحاجة إلى تجاوز ذلك وطرح الأسئلة الصحيحة.

لذا فإن طلبي لجميع المشاركين الأذكياء الملهمين أصحاب الفكر الصائب هو أن يكونوا

مستعدين للتقسّم إلى مجموعات. يرجى طرح الأسئلة الصحيحة عن الأخوة البشرية وأعتقد أن الله، الرب، سوف يقدم لنا الحلول الصحيحة. لا تبحثوا عن حلول بل وجهوا الأسئلة الصحيحة.

قال ألبرت أينشتاين، أحد أعظم العلماء الذين شهدهم العالم، ذات مرة: "إذا كانت لدي مشكلة وتعلقت حياتي بها، وإذا كان لديّ ساعة واحدة فقط لحل هذه المشكلة، فسوف أمضي 55 دقيقة في طرح الأسئلة الصحيحة والإجابة سوف تظهر في الدقائق الخمسة الأخيرة". عندما تسأل الأسئلة الصحيحة، تصبح الأخوة البشرية هي الإجابة المنطقية.

شجعني رئيسنا الروحي، بارام بوجيا ماهانت سوامي مهراج، على طرح سؤال: ما هي جنسية الشمس؟ هل هي روسية أم أمريكية، هندية أم صينية؟ الشمس لا تكترث بالجنسية فهي موجودة لمن يريدون رؤية النور. ما هي ديانة الماء؟ هل الماء مسلم، مسيحي، يهودي أم هندوسي؟ الماء لا يفكر بالدين فهو موجود ليروي من يشعر بالعطش.

إلى أي طبقة تنتمي الأرض؟ الطبقة العليا، الدنيا، الطبقة الوسطى؟ الأرض متاحة لأولئك الذين يريدون الوقوف والمشي. ما هو لون الهواء؟ هل هو أسود أم أبيض أم بني أم أصفر أم أحمر؟ يتجاوز الهواء العرق ولون البشرة. الهواء موجود لأولئك الذين يريدون التنفس والبقاء على قيد الحياة. ثم، ما العرق الذي ينتمي إليه الفضاء؟ لمجرد كون الإنسان قد وصل إلى القمر لا يعني أن الفضاء ملك لنا. هناك مساحة لأولئك الذين يريدون استكشاف آفاقهم وتوسعتها.

إن العناصر الأساسية للخلق - الأرض، الماء، الضوء، الهواء، والفضاء - كلها عالمية، ليست مملوكة لأي أحد وهي متاحة ليتمتع بها الجميع. إذا كان الخلق شمولياً، فمن المؤكد أن الخالق شمولي. وإذا كان من المفترض أن يكون الدين هو الطريق إلى ذلك الخالق، فعندئذٍ لا بد أن يكون الدين ذاته شمولياً بنفس المبدأ.

خلال نشأتي كهندوسي في فترة الشباب، أتذكر أنني تعلمت أن كل دين هو بمثابة منجم ذهب للقيم. لقد تعلمنا، كما ذكر متكلمون آخرون، أننا "amritasyam vayam putraha"، أو، نحن أبناء الرب الخالد. تعلمنا أيضا أن العالم كله عائلة واحدة. وقد دعم كل شخص متدين هذه الفكرة بطريقته. لكننا تعلمنا أيضا أن نسمح للأفكار النبيلة أن تأتي إلينا من كل اتجاه. فوجود الرب في كل مكان وفي كل شخص وفي كل شيء.

قبل يومين، سألني مراسل دولي عما إن كنت أعتقد أن التسامح في دولة الإمارات العربية المتحدة بمثابة مستحضرات للتجميل. ابتسمت وقلت: " لا يا صديقي، على الإطلاق. التسامح في دولة الإمارات العربية المتحدة ليس أمراً شكلياً، إنه روح البلاد بأكملها".

لقد شعرنا بروح الدفء والحب والمودة. ووقوفي أمامكم هنا هو دليل حي. لقد شعرنا بروح الحب والمودة هذه عندما استقبلنا صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة في دولة الإمارات العربية المتحدة في القصر الرئاسي ونحن رهبان هندوسيون. لم يكتف باستقبالنا أمام مئات الشخصيات من الأسرة الحاكمة، بل وهبنا أيضًا 13.5 فدانًا من الأرض لبناء أول معبد هندوسي تقليدي في أبوظبي.

التسامح ليس مجرد كلمة، فهو يتجلى في العمل والمحبة. أتذكر أنهم أخبرونا بأن البروتوكول يقتضي عدم التحدث إلى صاحب السمو ولي عهد أبوظبي. فسألت ماذا علي أن أفعل إذا تحدث ولي العهد إليّ، وهذا بالضبط ما حدث. يكمن جوهر الأمر في التواصل، فنحن في كثير من الأحيان ننتظر من الشخص الآخر التواصل معنا. أعتقد أن هذا المؤتمر العالمي يهيئ لنا فرصة التواصل مع الآخرين، وهذا ما شعرنا به في الإمارات.

عندما كنا في القصر الرئاسي، قال رئيس وزراء الهند، السيد ناريندرا مودي، لسموه أنه وأنا كالأخوة. فاقترب مني ولي العهد وقال إن ثلاثتنا أخوة. ما الذي نريده أكثر لتحقيق الأخوة الإنسانية أو التسامح؟ شعرنا بالأمر ذاته عندما قابلنا سمو الشيخ عبد الله بن زايد آل نهيان،

وزير الشؤون الخارجية والتعاون الدولي في دولة الإمارات. لقد زار معبد اكشاردام، وعندما غادر، جلس على السلالم مثل حاج بسيط لارتداء حذائه. يا له من تواضع!

وحدت هذه الأرض المجتمع الهندوسي بأكمله والجاليات الهندية في جميع أنحاء العالم من خلال لفتة جميلة لهبة الأرض لإقامة معبد. فقط تخيل: بلد مسلم يمنح الأرض لمعبد هندوسي صممه مهندس معماري بارز وهو كاثوليكي إيرلندي، ونفذ من قبل استشاري شيوعي ملحد - يا له من مزيج مذهل لإقامة معبد BAPS الهندوسي الجميل في أبوظبي! لقد اجتمع العالم كله في مثال حي على الأخوة البشرية.

تتمتع فكرة الأخوة الإنسانية بجذورها الراسخة في تأسيس هذه الأمة. كما قال الراحل الشيخ زايد نفسه في كثير من الأحيان: "احترام كل شخص، بغض النظر عن عقيدته أو عرقه واعتباره روحاً مميزة، واحد من علامات الإسلام ". وأكد أن التسامح هو واجبنا. وبالمثل، قال رئيسنا الروحي، براموخ سوامي مهراج Pramukh Swami Maharaj، إن الدين يجب أن يكون هو الوسيلة التي تنشر الحب وتقربنا من بعضنا أكثر.

في عام 2000، في قمة الألفية للسلام في الأمم المتحدة، حيث تجمع ما يقرب من 2000 زعيم من زعماء العالم الديني، نقل براموخ سوامي مهراج رسالة واحدة فقط أريد أن أذكرها لكم: قال إن الحوار وحده لا يكفي، وأن على جميع الزعماء الدينيين إجراء حوار مع الزعماء الدينيين الآخرين. عندما يجتمع قادة الديانتين، فإن ذلك يقلل من المرارة بين الأتباع ويخلق بيئة من السلام والوئام. لكن هذا الحوار لا ينبغي أن يقتصر على الزعماء الدينيين وحدهم، حيث تقع على عاتق القادة وصناع الرأي مسؤولية إجراء حوارات أخرى مع الأتباع والأصدقاء. علينا العودة إلى أتباعنا وأصدقائنا لنخبرهم بأن المهم هو أن يكونوا هندوسيين أفضل. يجب أن يكون اليهودي يهوديا أفضل؛ يجب أن يكون المسلم مسلما أفضل. يجب أن يكون المسيحي مسيحيا أفضل؛ وينبغي أن يكون البوذي بوذياً أفضل. إذا قررنا جميعا أن نكون أتباعا أفضل لأديانا، فسيكون العالم أخوة إنسانية كاملة. وبالطبع فإن الانتشار الأفقي ليس بأهمية

العمق العمودي للنور في قلب من يتبع الدين، كما قال: إن على كل واحد منا أن يحاور قلبه بصدق، فهل نحن ملتزمون فعلاً بتعاليم أولئك الذين أسسوا عقائدنا؟ هل نحن حقا مؤمنون؟ إذا كنا صادقين مع أنفسنا فسوف نجد الانسجام والسلام في كل مكان حولنا. عندما تتحدث إلى قلبك، يستمع العالم. عندما تتحدث إلى العالم، فإنه لا يصغي لك. يجب أن يكون الحوار الثالث معنا، داخل أنفسنا، حول موقفنا.

في الختام أريد أن أقول بضع ملاحظات، أولاً، علينا طرح الأسئلة الصحيحة وسيعطينا الله الإجابات؛ ثانيا، لا بد من الحوار على جميع المستويات الثلاثة؛ وأخيرا، عندما تتحدث إلى نفسك، سوف يصغي إليك العالم. عندما ينبع أمر ما من قلبنا فسوف يصل إلى كل قلب.

سأترككم مع واحدة من أرقى الصداقات لتجسيد الأخوة الإنسانية. سأختتم بالدكتور أبو بكر زين العابدين عبد الكلام، الذي كان واحداً من أبرز العلماء النوويين المرموقين في الهند وأكثر رؤساء البلاد المحبوبين. قبل وفاته وبعد أن ألف العديد من الكتب الأكثر مبيعا، تم تسمية كتابه الأخير "تجاوز". فهو يتحدث عن تجاوز الأسوار والانقسامات التي تفرقنا. يروي الدكتور في كتابه كيف أصبح صديقا لزعيم روحي هندوسي هو براموخ سوامي مهراج. انظر إلى التباين. حصل الدكتور كلام على 48 درجة دكتوراه من 48 جامعة. الراهب الهندوسي كان بالكاد متعلماً. كان الدكتور عبد الكلام عالما، بينما كان الراهب رجلاً روحيا. كان الدكتور عبد الكلام في موقع السلطة الأعلى كرئيس للهند بينما لم تكن هناك مكانة تذكر للراهب. لم يستطع الرئيس فهم الغوجاراتية، لغة الراهب؛ والراهب لم يفهم اللغة الإنجليزية. كان الدكتور عبد الكلام مسلما وكان الراهب قائدًا للعقيدة الهندوسية. ولكنهما عندما التقيا، كان حديثهما من القلب إلى القلب.

تنشأ الأخوة عندما لا يكون الكلام على مستوى العقل وحسب، فلا بد أن يكون الحديث نابعاً من القلب ليصل إلى القلب. يقول الدكتور عبد الكلام إن الراهب كان "المعلم الأسمى في حياتي، فهو الذي أظهر لي أن هناك عالما يتجاوز الاختلافات". إذا كانت هذه الصداقة قد

حدثت رغم الاختلافات الكبيرة في اللغة والمكانة والسلطة والتعليم، فأنا أؤمن بأننا جميعا قادرون على الوصول إلى قلوب بعضنا البعض.

فيما تغادرون هذا المؤتمر، ستبقى هناك بعض الهمسات والأصوات الضالة التي تخبركم بأن الأخوة الإنسانية مجرد حلم وأنها لا يمكن أن تتحقق. ولكنني هنا لأقول لكم أن الهبوط على سطح القمر كان يوماً ما مجرد حلم ولكنه حدث بالفعل، وكذلك استيطان المريخ حلم ولكنه سيتحقق. لا يحدث أي شيء بالفعل لأننا توقفنا عن الحلم. وليس هناك مكان أفضل من دولة الإمارات لنحلم فيه بالأخوة الإنسانية ونعمل معاً من أجل إرسال روابط الأخوة الإنسانية، فهي موطن مئات الأحلام التي تحققت من أجل مستقبل البشرية.

سأختم حديثي إليكم بفكرة: مهما حدث بسبب جهودنا التي تنطلق من إخلاصنا ورغبتنا في أن نعيش أحلام مؤسسي أديانا، بعد أن نغادر جميعنا هذه الأرض سيبقى العالم مؤمناً بأن المحبة أقوى من الموت وأن السلام أقوى من الحرب والانسجام أقوى من الكراهية. شكراً جزيلاً لكم جميعاً، ادعوا لي في صلواتكم وسأدعو لكم في صلواتي.